الدور السياسي والاداري لموالي بني أمية في الاندلس
وهراني قدور، المجلد الثاني عشـر، العدد 1، أبريل 2021،
ص ص 115-129

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

الدور السياسي والاداري لموالي بني أمية في الاندلس

138هـ/756م -422هـ/ 1031م

The Political and Administrative Role of the Umayyad Clients (mawālī) in al-Andalus

قدور وهراني (*)

جامعة تلمسان، الجزائر

histoire_maghreb@yahoo.fr

تاريخ الإيداع: 25 /2020/06 تاريخ القبول: 2020/09/25 تاريخ النشر: 2021/04/30

الملخص:

اعتمد الامويون في الاندلس على موالهم اعتمادا تاما في تسيير شؤون الحياة السياسية والإدارية للدولة، فقد اسندوا الوظائف السلطانية والمناصب الإدارية الى بيوت معينة تربطها بهم رابطة الموالاة منذ بداية دولتهم في المشرق، وكان من أهمهم بنو مغيث، وبنو شهيد وبنو أبي عبده، وبنو حدير، فكان منهم الوزير والحاجب، صاحب السوق وصاحب الخيل، والخزان.

الكلمات الدالة:

الأندلس ، البيوتات ، الموالي ، الدولة الأموية.

Abstract:

The Umayyads in Al-Andalus relied heavily on their mawālī to manage the political and administrative affairs of the state. They entrusted government and administrative positions to specific families of mawālī whose client-relationship with the Umayyads had begun in the Mashriq when the caliphate was still based in Damascus. Among the most important of these families were the Banū Mughīth, Banū Shahīd, Banū Abī ʿAbduh, and the Banū Ḥadīr, whose members occupied the posts of wazīr, ḥājib, ṣāḥib al-sūq, ṣāḥib al-khayl, and khazzān.

Key Words:

Al-Andalus, buyūtāt, mawālī, Umayyads.

****

(*) المؤلف المرسل: وهراني قدور histoire_maghreb@yahoo.fr

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X
DM

الموالاة نظام اجتماعي وسياسي ظهر عند العرب منذ الجاهلية، ويتعلق بالرابطة التي تكون بين المعتق (بفتح التاء) والمعتق (بكسر التاء) وكذلك تلك الصلة التي تتكون بين القبائل المتحالفة، فهي صلة نصرة ومحبة، والإسلام كما نعلم يدعو الى المحبة والتعاون لأنها من المبادئ الأساسية التي تقوم عليها نهضة، الأمم وسيادة الشعوب، لذلك فانه اعتبر الولاء كالنسب إبقاء عليه وتنمية له فقال الرسول الله صى الله عليه وسلم: "الولاء لحمة كلحمة النسب".[1]

معنى كلمة موالى:

الولاء في اللغة يطلق بإطلاقات كثيرة وردت وردت في المعاجم من خلال مادة ولي (و.ل.ي) والولي والمولى بمعنى واحد في لغة العرب، والولي أي الصديق والنصير والتابع، والمحب والولي ضد العدة. وقد عد ابن منظور الابن والاخ والعم وابن عم.ثم قال العصبات كلهم، ثم يعدد معاني كلمة ولي فيقول: المولى هو الذي يسلم على يديك وهو أيضا مولى النعمة أي المعتق، والمعتق، السيد والعبد، وجمع مولى موال ومؤنثه مولاة اذن تدل كلمة مولى معنيين متضادين وهما اسم الفاعل واسم المفعول، المعتَق والمعتق المنعم والمنعم عليه[2]. وقد قُسمت القبيلة الى قسمين او طبقتين: الصرحاء وهم أبناء القبيلة الذين ينتمون الى جد واحد في النسب، والموالي والتي يشمل الاحرار من المحاربين والعتقاء وطبقة الارقاء بعد ارتباطهم بالقبيلة ارتباطا مؤقتا يدوم ما دامت صلة الولاء قائمة بالقبيلة.[3] ويؤكد ذلك ابن خلدون بقوله: "لا تكون له عصبية فيهم (الصرحاء) بالنسب انما هو ملصق لزيق وغاية التعصب له بالولاء وبالحلف".[4]

ويرجع "ابن خلدون" سبب التحام المَوالي بمُصطنعيهم إلى العشرة والمُدافعة وطول المُمارسة والصحبة بالمَربى والرِّضاع، وإذا حصل الالتحام بذلك جاءت النعرة والتناصر[5].

وقد اتخذت الموالاة عند العرب منذ القدم عدة اشكال أهمها أربع:

– ولاء الحلف: فالموالاة كلمة تطلق على الحليف وقد عرفه ابن منظور هو من انظم اليك فعز بعزك وامتنع بمنعتك. ويتضح من ذلك الولاء بين طرفين غير متكافئين في منافع الحلف فقد يضطر طرف لدفع اتاوة للطرف الثاني من أجل الحماية.[6]

– ولاء الجوار: فيعد من أبرز الأعراف القبلية فتكون الرابطة بين المجير والمستجير رابطة ولاء ونصرة ومحبة، ويؤدي ذلك الى اختلاط وتزاوج.[7]

– ولاء الرق: كان للرق وسائل متعددة من أهمها الأسر السبي والتجارة والولادة، وكان العرب في جاهليتهم يغزون بعضهم بعض ويأسرون رجالا ونساء فيجعلونهم أرقاء، يباعون في

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

الأسواق من أجل الخدمة في البيوت وكانت النساء يخيرن بين الزواج او العتق اذا ما انجبت ولداً، وغالبا ما كن يلتحقن باهلهن هربا من ذل السبي، وقد عرفت العرب عدة أنواع من السبايا، فالنوع الاول كان عربا بسبب غزو العرب، أما الثاني فكان اسودا وكان يقتنى في الأسواق كسوق عكاض، وتعرف العرب بعد ذلك على الرقيق البيض وخاصة في الاندلس.[8]

– ولاء العتق: والعتق ضد العبودية، وهي منح العبد الحرية، والعبد رغم منحه الحرية فانه يبقى مرتبطا روحيا بسيده الذي من عليه بعتقه، وقد يشترط لارتباط بحلف او جوار بقبيلة السيدة حتى بعد حصوله على الحرية[9]، ويجب ان يلبي نداء هذه القبيلة اذا دعت الضرورة لذلك.

أهم بيوت الموالي الامويين في الاندلس:

1 - بني شهيد:

جد بني شُهيد هو "شُهَيد بن عيسى بن شهيد الأشجعي"، وفد على الأندلس أيام عبد الرحمن الداخل، وهو من موالي بني أمية، كان أديبا شاعراً.[10] وتقلدت هذه الأسرة مناصب مهمة في تاريخ الدولة الاموية في الأندلس، وأشهر رجالها: "عيسى بن شُهيد"، الذي «لم يختلف اثنان من شيوخ الأندلس في أنّه لم يخدم بني أمية أكرم منه عناية وأكثر ولاءً»[11]، و"عبد الرحمن بن أمية بن شُهيد" المدعو بـ "الدُحيم"[12]، الذي حجب للأمير "المنذر"(273هـ/886م-275هـ/ 888م)، والأمير "عبد الله" (275هـ/888م-300م/912م)[13]، و ورغم أنّ الخليفة "عبد الرحمن الناصر" (320هـ/932م)، إلى (350هـ/961م) ألغى منصب الحاجب إلا أنّه اصطفى من بين وزراء دولته "أحمد بن عبد الملك بن شهيد"[14] فرفع مرتبته على سائر المراتب[15]، حتى إنّ "المقري" و"الفتح بن خاقان" يُلقبانه بحاجب الخليفة "الناصر"[16]. وتصرف "أحمد" لـ "الناصر عبد الرحمن" في ولاية الكور والوزارة وقاد الصوائف[17]، «وهو أول من سُمّيَ بـ"ذي الوزارتين" بالأندلس وكان من أهل الأدب البارع، وصار الوزير الذي ينوب عن الملك يعرف بـ"ذي الوزارتين"، وأكثر ما يكون فضلاً في علم الأدب، وقد لا يكون كذلك، بل عالما بأمور المُلك خاص»[18].

2-بن أبي عبده:

وهم "عبيد الله بن محمد بن أبي عبدة" الذي قاد الخيل ، و"أحمد بن محمد بن أبي عبدة" وولي الكتابة، و"سلمة بن علي بن أبي عبدة" وقاد الصوائف، و"عبد الرحمن بن حمدون بن أبي عبدة".[19] ويقول المؤرّخ ابن الأبار إنّ "أبا أمية عبد الغافر بن أبي عبدة" كان من وزراء "عبد

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X
DM

الرحمن بن معاوية"، وسماه "عيسى بن أحمد الرازي" (ت: 379هـ/989م) في حجاب " الأمير هشام"، وذَكَرَ أيضا من حُجَّاب الأمير "الحَكم"[20] "عبد العزيز ابن أبي عبدة"؛ وهو أخو "عبد الغافر"[21]، وعلى أي حال فقد كان اتّخاذ هذين الحاجبين المنتميين إلى "آل أبي عبدة" رداً لجميل أبيهما "حسان بن مالك" الذي كثيراً ما أسدى خدمات جليلة للدولة الأموية، للدولة الاموية في مرحلة النشأة.[22]

3-بني المغيث:

مغيث بن الحارث بن الحويرث بن جبلة بن الأيهم الغساني، سبي من الروم بالمشرق وهو صغير، فأدبه عبد الملك بن مروان مع ولده الوليد، فتح قرطبة سنة(93هـ/712م)، صار منه بنو مغيث الذي عرفوا بكفاءتهم في تقلد الأمور السياسية والعسكرية بقرطبة.[23] ومنهم: عبد الكريم بن مغيث تولى حجابة الأمير "هشام الرضا"[24] (171هـ/787م- 180هـ/796م)، وكانت له إلى جانب ذلك جولات عسكرية في "جليقية" سنة(179هـ/795م)[25]، "عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث" قد أغزى "قطلونية" سنة(176هـ/792م)[26]، ويلقّب "ابن خلدون" "عبد الملك" بالوزير[27]. أمّا "ابن الأبار" فيذكر أنّ حاجب "هشام الرضا" هو "عبد الواحد بن مغيث"[28].

4-بني حدير: هم بطن من بطون بني جعد من لخم، ينتسبون الى جدهم حدير وهو مولى لعبد الرحمن الداخل[29]، ومنهم موسى بن حدير" من بين خُزَّان "عبد الرحمن الأوسط"، وقد تدرج في الوظائف السلطانية من مرتبة خازن بسيط إلى شيخ الخُزَّان، ثم إلى مرتبة وزير بعد أن رفض صرف صك بقيمة ثلاثين ألف دينار، كان الأمير قد أهداه للمغنّي "زرياب"[30]، و"موسى بن أحمد بن حدير" الذي ولي الحجابة في رجب من سنة (309هـ/921م) بعد وفاة الحاجب "بدر بن أحمد"[31].

إسناد الخطط الشريفة إلى موالي بني أمية بالأندلس:

حَرِصَ الحُكَّام الأمويون على تعيين مواليهم في الخطط الشريفة، فهذا الأمير "محمد" كان يفضل ركوب سنن سلفه في إحياء بيوتات الشرف، حتى وصل به الأمر تفضيل بعضهم رغم قلة صنعته، وقد رَدَّ يوماً على انتقاد "هاشم بن عبد العزيز" في تعيين "عبد الملك بن أمية" في منصب الكتابة العليا قائلاً: «مهلاً يا هاشم! فقد علمنا أنك ما قلت إلا بالنصيحة لنا والرغبة في رفعة الخدمة لنا، غير أنّ مذهبنا أن نقصر لخططنا هذه النبهة على أبناء موالينا وأهل السوابق في خدمتنا، وأن نخلفكم فيمن بعدكم بما خلفنا به فيكم من قبلكم، ولو كنا فارقنا هذا المذهب لما اتصلت النعم إلى صلحاء موالينا، وذوي القدمة في خدمتنا، وهذا أمر يجب

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X
DM

عليك أن تقف على مقدار النعمة فيه عليك وعلى ذويك، وتقل عليه الملامة»[32]. فاعتذر له هاشم من قوله، وتشكر فعله، واستكرم رأيه، واعترف بصواب رأيه، وأقصر عن ذكر "ابن أمية"[33].

لقد تنَّوع موالي بني أمية بين من سبقوا "عبد الرحمن الداخل" إلى الأندلس، وينتمون إلى موالي العتاق وقد كان لهم اتصال بهم في الشام، ومواليهم بالاصطناع وهم الذين كان لهم اتّصال بهم بعد قدومهم إلى الأندلس. وقد حرص بنو أمية على تولية الحجابة مواليهم بغض النظر لأي نوع من الموالي كان النصيب الأوفر في ذلك، مع وجود قاعدة سياسية دأب الحُكَّام على الحفاظ عليها وهي تقديم الموالي من العتاق على الموالي من الاصطناع، أو بمصطلح آخر تقديم الشامي على البلدي[34].لقد غالى الأمويون في تكليف مواليهم بهذا المنصب، فقد كان تعيين بعضهم على حساب المصلحة العليا للدولة، وكان ذلك يَتِمُّ في بعض الأحيان دون مراعاة لمعايير العدالة والعفة والأمانة، وهذا ما جرَّ الدولة إلى فتن لا نهاية لها، فقد سكت الأمير "محمد بن عبد الرحمن" عن سوء تصرفات مُدبِّر دولته "هاشم بن عبد العزيز" رغم كثرة شكاوى الرعية منه واكتفى بمجرد تنبيهه على ذلك قائلاً: «يا هاشم من آثر السرعة أفضت به إلى الهفوة، ولو أنّا أصغينا نحو زلاتك وأصَخْنا إلى هفواتك لكنّا شركاءك في الزلة وقسماءك في العجلة، فمهلاً عليك رويداً بك، فإنك إن تعجل يُعجل بك»[35].

ورغم أن هذه الأُسر كان لها الأفضلية في شغل هذه المناصب إلا أنّ أفرادها مثل غيرهم من الحُجَّاب كان عليهم أن يتمرسوا في المناصب الدُنيا حتى يصلوا إلى أعلى منصب في الدولة بعد الأمير أو الخليفة وهو منصب الحاجب، فقد ولى "عبد الرحمن الناصر" الوزارة في بداية عهده رجل من "آل حدير" وهم من موالي بني أمية وهو "موسى بن محمد بن حدير"، وأعيد على خطة المدينة التي كان قد شغلها زمن الأمير "عبد الله"[36]، وكثيرا ما كان يستخلفه في القصر حينما كان يخرج للغزو[37].

كانت أول وأهم الأسر اشتغالا بمنصب الحجابة في تاريخ الدولة الأموية هي أسرة "المغيث"، ورأس هذه الأسرة في الأندلس هو "مغيث بن الحارث بن الحويرث بن جلبة بن الأيهم الغساني"، سُبِيَّ من الروم بالمشرق وهو صغير، فأدَّبه "عبد الملك بن مروان" مع ولده الوليد"، فصارت له مكانة مهمة في الدولة الأموية في المشرق، دخل الأندلس في الطلائع الأولى للفتح الإسلامي، فقدَّمه "طارق بن زياد" لفتح قرطبة، ووقع له مع "موسى بن نصير" خلاف كبير، فرحل معه ومع "طارق" إلى دمشق لطرح خلافهم على الخليفة، فعاد ظافراً إلى الأندلس، ولم

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X
DM

يعرف له سنة ميلاد ولا وفاة[38]، وصار منه بنو مغيث الذين نجبوا في قرطبة، وسادوا وعظم بيتهم، ونالوا أعلى المناصب في الدولة في بداية عصر الإمارة، وكان أولهم "عبد الرحمن بن مغيث" حاجب "عبد الرحمن بن معاوية"[39]، ثم صاروا عماد الدولة في عهد "هشام الرضا" فَعُيِّنَ "عبد الواحد بن مغيث" في منصب الحاجب، وتولى ابناه "عبد الكريم" و"عبد الملك" قيادة كثير من الصوائف[40]، مما جعل الأمير "هشام" يثق فيهما ويليهما بعض المدن، فولى "عبد الكريم" كورة "جيان" بالإضافة إلى الحجابة، وولى عبد الملك "سرقسطة"[41]. واستمرت هذه الأسرة في ممارسة مهامها في عهد "عبد الرحمن الأوسط"، فكان تعيين "عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث" في وظائف عديدة في الدولة بالإضافة إلى الحجابة[42].

وقد تقلص دور هذه الأسرة على مستوى الساحة السياسية سوف بمجرد وفاة الحاجب "عبد الكريم" سنة (209هـ/825م)، وذلك لأنّه لم يعد لهم ذكر في كتب التاريخ الأندلسي بعد ذلك ما عدا ما أورده "ابن حيان" عندما ذكر ما طلبه الأمير "محمد" من حاجبه "عيسى بن أبي عبدة" أن يبلغ "عبد الحميد بن عبد الواحد بن مغيث" صفحه وقد كان عَتِباً عليه قبل ذلك قائلاً: «أعلموه بصفحنا عما كان منه، وبحسن رأينا فيه، وأنا قد رأينا توليته الغرب كله اعترافا منا على كفايته، ولما قد سبق من عمله عليه وعمل سلفه قبله، وأنه منزلهم، وأنا جمعناه له إلى "قلمرية"[43]، فليعقد سجله، ولينظر في شأن مصيره»[44].وقد مارست أفراد أسرة "آل المُغيث" نشاطهم جنباً إلى جنب مع أفراد أسر أخرى ومنها "آل أبي عبدة"، ويعود اتّصال هذه الأسرة بالأُمويين إلى دولتهم الأولى بالشام، إذْ كان جدهم "عبد الله" مملوكاً لـ"مروان بن الحَكم" فأبلى يوم وقيعة "مرج راهط"[45] بلاءً حسناً فأعتقه[46]. والداخل إلى الأندلس من أجداد هذه الأسرة "حسان بن مالك بن عبد الله" وهو المسمى "أبو عبدة" وكان دخوله سنة (113هـ/731م)، أي قبل دخول "عبد الرحمن الداخل" بخمس وعشرين سنة، وكان لـ "حسان" أولاد قتلوا إلا "عبد غافر" لصغر سنه، فنشأ مع "عبد الرحمن بن معاوية"، وتأدَّب معه في المشرق. ولما قَدِمَ "بدر" مولى "عبد الرحمن" بخبره إلى مواليه الشاميين، كان "أبو عبدة" أول المرحبين به، فوجَّه ابنه "عبد غافر" إليه، ولما توطد حُكم "الداخل" أصبح لـ "أبي عبدة" شأن كبير في دولته فقد اتخذه من بين أهم مستشاريه[47]، ثم استعمله على القيادة وولاه "إشبيلية" فملك الغرب أجمع خمسة أعوام إلى أن تُوفي[48].

واشتهر العديد من أفراد أسرة "آل أبي عبدة" فشغل منهم الكثيرون منصب الحجابة بالإضافة إلى مناصب أخرى، فقد تولى "أبو أمية عبد غافر" الشرطة لـ "هشام الرضا"[49]، ثم

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

عُين في الحجابة، وتولى حفظ خاتمه وخاتم ابنه "الحَكم الربضي"[50]، وقد أورد ابن الأبار" اسم عبد العزيز بن أبي عبدة" أخا "عبد غافر" أيضاً ضمن حُجَّاب الأمير الحكم الربضي[51]، وقد تصرّف بعد ذلك "أبو عثمان عبيد الله الغمر بن أبي عبدة" للأمير "عبد الله" في الكور وحجابة الأولاد، والمدينة والخيل والقيادة، ثم في الكتابة الخاصة والوزارة[52]. وقد تولى "عيسى بن الحسن بن أبي عبدة" الحجابة للأمير "محمد" سنة (243هـ/857م)[53]. وعرف عهد الأمير "عبد الله" أزهى أيام هذه الأسرة فقد جمع مجلسه أربعة وزراء منها[54].

ويتفرّع من هذه الأسرة "بنو جهور" الذين سادوا قرطبة بعد ذلك، وينسب هذا الفرع إلى الوزير "أبي حزم جهور بن عبيد الله بن محمد بن الغمر بن يحي بن عبد الغافر بن حسان بن عبد الملك المكنى بأبي عبدة"[55]، ولا ننسى أن نذكر "أبا محمد بن أحمد بن حزم" الذي حجب "عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر المستظهر بالله"[56] في السنوات الأخيرة من عمر الدولة الأموية[57] . ويجب التفريق بين "بني جهور البختيين"، وبين "بني جهور" الذين ينتمون إلى بيت "أبي عبدة"[58].

وقد كان بيت "آل شُهيد" من أهم البيوتات التي شغلت المناصب السلطانية، ويعودون بنسبهم إلى "الوضاح الأشجعي" مولى "معاوية بن مروان بن الحكم"، وكان "الوضاح" مع "الضحاك بن قيس" في معركة "مرج راهط" وجدّهم الداخل إلى الأندلس هو "شُهيد بن عيسى"، الوافد إليها زمن "عبد الرحمن الداخل"[59]. وقد كان لـ "عبد الرحمن" ثقة كبيرة في " شُهيد "[60]، حتى إنّه استخلفه على قصره حينما عزم على الخروج لإخماد ثورة "عبد الغفار اليحصبي" سنة (154هـ/771م) وكان له دور كبير في استتباب الأمر لـ "ابن معاوية" بالأندلس[61]، حيث أسندت له بعض المهام العسكرية، ومنها خروجه لقتال "وجيه الغساني (دحيه الغساني)"[62] بين سنتي (150هـ) و(160هـ)[63]، ثم أغزى تدمير[64] بصحبة "تمام بن علقمة" و"عبد الرحمن بن الحكم"، وهو ولي للعهد سنة (175هـ/ 792م)، وتصرّف بنوه بعده في مختلف الخطط من حجابة ووزارة والكتابة القيادة، إلى نهاية الدولة الأموية بالأندلس[65]، فقد عين الأمير "عبد الرحمن الأوسط" في منصب الحجابة "عيسى بن شهيد" سنة (218هـ/ 833م) مكان "سفيان بن عبد ربه"، واستمر فيها حتى وفاته سنة (243هـ/ 858م)، وكان قبلها قد ولاه خطة الخيل[66]، ثم استوزره[67]، وولاه النظر في المظالم، فلما استحجبه استخصَّه دون أصحابه، واشتهر بالحلم والوقار والحصافة والعلم والمعرفة والحزم والجزالة، ولأنّه كان من أعيان رجال

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X
DM

الموالي في الدولة فقد أعاده الأمير "عبد الرحمن" إلى الحجابة بعد أن احتال "نصر" الفتى الخصي في صرفه عنها[68].

ومن أشهر رجال هذه الأسرة كذلك "أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيس بن شهيد" وهو أول من لقب بـ "ذي الوزارتين" بالأندلس[69]، وقد اشتهر بالهدية التي قدمها لـ "عبد الرحمن الناصر" والتي أفاض المؤرخون في وصفها[70]. وتدلّ ضخامة هذه الهدية على مدى الغنى الذي وصلت إليه هذه الأسرة، والمال يعني عُلُوَّ القيمة السياسية والاجتماعية. كثيراً ما عين الأمراء حُجَّابا من غير الأسر المعروفة، فكان ذلك تتويجاً لمشوار سياسي طويل، وولاء تام للدولة، فكان الحصول على هذا المنصب نتيجة نباهة وكفاءة شخصيتين، فهذا الأمير "عبد الله بن محمد" يعزل حاجبا من أسرة كبيرة وهو "عبد الرحمن بن أمية بن شُهيد"، ويولي مكانه "سعيد بن محمد بن السليم"[71]، لما كان قد أظهره من كفاءة وحزم عندما ولاه السوق ضبط أمر العامة رغم قصر المدة التي بلغت ثلاثين يوماً فقط، وكان قد اختبره قبل ذلك يوم أن كان بـ "شذونة"[72]، وهو لا يزال ولياً للعهد، وظهر منه صرامة أكسبته مهابة، حيث عاقب خادماً للأمير المطرف فاستحسن عبد الله ذلك، وقدمه لذلك على الوزارة ثم الحجابة[73].

ورغم الحضور القوي لسلطة "الناصر لدين الله" إلا أنّ تنافسا قويا حدث بين بعض الوزراء دولته، ويخفي هذا التنافس جانبا من الصراع الذي كان يحدث في الخفاء بين الأسر الكبرى من موالي بني أمية بقرطبة، ويبرز كذلك دور الخليفة القوي في كبح الصراعات بين أفراد حكومته.وقد حرصت هذه البيوتات أن يبقى أمر الحجابة بينها وعدم خروجه عنها، واعتبرت ذلك حقاً مشروعاً، فوقفت بكل قوة أمام من يريد سلبها إياه، ولم يُدرك الحاجب "جعفر المُصحفي" هذه الحقيقة، فقد عمل على السيطرة على مناصب الدولة بعد تعيينه حاجباً، فعين أقاربه عل رأس الخطط الهامة في الدولة[74]، مما جلب له عداء الأهم أسر قرطبة، وكان مما أعان ابن أبي عامر" على "جعفر المصحفي" ميل الوزراء إليه وإيثارهم له عليه، وسعيهم في ترقيه، وأخذهم بالعصبية فيه، فإنها وإنْ لم تكن حمية أعرابية، فقد كانت سلفية سلطانية، يقتفي القوم فيها آثار سلفهم، ويمنعون بها ابتذال شرفهم، فقد كان ذلك العداء لـ"المُصحفي" عداءً قديماً، فلما أحضى "المستنصر" "المصحفي" واصطنع وقدمه على غيره، حسدوه وذموه، وخصوه بالمطالبة، وكانت أشهر الأسر التي عادت "المُصحفي" وأعانت "ابن أبي عامر" عليه "آل أبي عبدة" وآل شُهيد" و"آل جهور" و"آل فطيس"[75]. ويصف "ابن عذاري" مكانة هذه الأسر قائلاً: «وكانوا في الوقت أزمَّة المُلك، وقوام الخدمة، ومصابيح

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

الأمة»[76]. «فأحضوا "محمد بن أبي عامر" مشايعة و"المُصحفي" منازعةً، فرجحت كفَّة "ابن أبي عامر" بمُشايعة هذه الأُسر له، فأيقن "المُصحفي" بالهلاك وأيقن بالنكبة وزوال الرتبة»[77].

وخير ما يُعبرُ عن هذا الصراع ما قال "المُصحفي":

لا تأمن من الزمـان تقلُّباً إن الزمـــان بأهله يتقلب
ولقـد أراني والليوث تهابني وأخافني من بعد ذاك الثعلب
حسب الكريم مهانة ومذلة ألا يزال إلى لئيم يطلـب[78].

3 – الاهتمام بتدريب وتدرج أبناء بيوت الموالي في المناصب السياسية والادارية:

والملاحظ في عملية ارتقاء الموظفين من منصب الوزير إلى منصب الحاجب أن كثيراً ما يكون لصاحب المدينة بقرطبة النصيب الأوفر في ذلك[79]، فقد نقل الخليفة "عبد الرحمن الناصر" الوزير صاحب المدينة بقرطبة "موسى بن محمد بن حدير" إلى منصب الحجابة خلفا لمولاه "بدر بن أحمد" المتوفي سنة (309هـ/921م)[80]. وهذا الوزير صاحب المدينة بقرطبة المصحفي"، يشغل منصب الوزير القائم بشؤون الدولة أثناء العلة الطويلة للخليفة الحكم "المستنصر"، ثم يُعَيَّن حاجبا للخليفة "هشام المؤيد" سنة (366هـ/ 976م)[81].

ويرجع سبب ذلك إلى أهمية منصب صاحب المدينة واكتساب صاحبه لتجربة سياسية مهمة تخلقها طبيعة المنصب من خلال احتكاكه بالعامة. ومنصب صاحب المدينة من الخطط الدينية التي تفرعت عن منصب القاضي زمن الأمير "عبد الرحمن الأوسط" حيث مَيَّزَ صاحب السوق عن صاحب المدينة[82]. وجعل الأُمويون لكل مدينة صاحب وهو المسؤول عن أمنها الداخلي، لكنّ الأقرب إلى الحَاكم هو صاحب المدينة بـ "قرطبة". وتتعدّد مهام صاحب المدينة، فزيادة على فرضه الأمن والأمان داخل المدينة فقد يكلف بحجابة الخليفة أثناء الاحتفالات الرسمية وزيارات وفود الأجانب[83].ورغم أنّ صاحب المدينة لا يأخذ لقب الوزير بل هو أقل مرتبة منه، فإنّه يمكن أن يجمع لشخص في الدولة بين اللقبين بعد تكليفه بمهام أخرى، وهذا ما حدث لـ "عبد الواحد بن يزيد الإسكندراني" حيث استخدمه الأمير "عبد الرحمن الأوسط" ونقله من منازل الخدمة حتى خوَّلَهُ المدينة، ثم رقاه إلى الوزارة والقيادة[84].

لقد توارثت الأسر الكبرى في الأندلس بطريقة غير مباشرة منصب الحجابة، بتداولها في أحيان كثيرة بين "آل مغيث" و"آل أبي عبدة" وآل حدير" وغيرهم. وعلى العكس من ذلك فقد توارث "آل المنصور بن أبي عامر" للحجابة توارثاً مباشراً، فقد حرص "محمد بن أبي عامر" على توريثها أبنائه من خلال ضغطه على الخليفة "هشام المُؤيد" الذي أصدر مرسوماً في هذا

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X
DM

الشأن فرقَّاه ولقَّبه بـ "المنصور" وجرَّده من لقب الحجابة، ومنحها ابنه "عبد الملك" رغم حداثة سنِّه، كما عيَّن في منصب الوزارة ابنه الأصغر "عبد الرحمن شنجول"[85]، الذي سار على خُطا أبيه فبعد أن أجبر الخليفة "هشام المُؤيد" على تعيينه ولياً للعهد حرص على تعيين ابنه "عبد العزيز" خطّة الحجابة مجموعة له بسيف الدولة لقب عمه "المظفر"، فرُسِّم هذا الطفل بالحجابة بقية مدة ولاية أبيه. كان لهذا الحادث رموز ودلالات كثيرة، فهو يُبرز مدى المُستوى الذي وصلت إليه الحجابة في تلك المرحلة من مراحل عمر الدولة الأندلسية، ويجعلنا نحكم أن مرحلة أفول الدولة الأُموية قد بدأت فِعلياً، وبالفعل لقد أدخل الحاجب "عبد الرحمن بن أبي عامر" الدولة في متاهة، وأشعل فتنة كان نتيجتها مصرعه ثم سقوط الدولة الأُموية في الأندلس، وذلك من خلال تلاعبه بأمور الدولة وعدم احترامه لحدود صلاحياته.

ويمكن أن يكون الوصول إلى هذا المنصب بالقرعة مثل ما حدث مع "سفيان بن عبد ربه"، فبعد شغور منصب الحاجب بوفاة "عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث" تنافس الوزراء على خُطة الحجابة فأخذت الأمير "عبد الرحمن الأوسط" ضَجْرَةٌ، وأقسم ألا يُولي واحدا منهم، وأمر بالإقراع بين الخُزَّان، فخرجت القرعة إلى "سفيان بن عبد ربه"[86]، وكان من بربر مصمودة[87]، لا قديم لأسلافه في هذا المنصب، وكانت هذه حالة فريدة في تاريخ الحجابة الأَندلسية.لقد كان تعيين الحُجَّاب يتمُّ عن طريق إصدار الأمير لكتاب ينصُّ على ذلك، ويتّضح ذلك جلياً عند الحديث عن تزوير "نصر" الصقلبي لكتاب اِدّعى أنّ الأمير "عبد الرحمن الأوسط" قد كلَّفه بتنفيذ مضمونه، وكان هذا الكتاب يحمل قرار عزل الحاجب "عيسى بن شهيد" وتعيين "عبد الرحمن بن رستم" بدلاً عنه[88]، وكان الكتاب الذي يُصدره الأمير يُختم بخاتم الدولة الرسمي ويُسلَّم بعد تنفيذه إلى مصلحة الخزانة العامة حيثُ يُسجَّلُ ذلك في سجلات خاصة، فتُضبط من خلالها رواتب الموظفين[89].

استعانت الدولة الاموية كثيرا بمواليها، خاصة أنها نشأت على أرض بعيدة وغريبة عن بيئتها، فمن الشام الى الاندلس انتقلت الدولة وانتقل معها عرفها وسياستها في اصطناع مواليها، فوفقوا في إدارة شؤون الدولة من خلالهم وبهم.

الهوامش:

1 - محمد الطيب النجار، الموالي في العصر الاموي، بحث عن الرق والولاء في الاسلام، ط1، دار النيل للطباعة، القاهرة، 1949، ص169.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

2 - ابن منظور لسان العرب، دار صادر، بيروت، 2010، باب الميم. أسماء عبد الله غني العزاوي، أثر الموالي في الحياة الفكرية خلال العصر الاموي، ط1، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، 2017، ص31.

3 - نفسـه، ص32.

4 - ابن خلدون، المقدمة، ط5، دار الرائد العربي، 1982، ص132. أسماء العزاوي، المرجع السابق، 32.

5 - ابن خلدون، المقدمة. ص327.

6 - أسماء عبد الغني، المرجع السابق، ص 32.

7 - نفسه، 32

8 - نفسـه، ص33.

9 - نفسـه، ص 34.

10 - الحميدي أبو محمد بن أبي النصر فتوح بن عبد الله، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس. بيروت: دار الكتب العالمية.1417ه/ 1997م.ص209. ترجمة:501. الضبي، أحمد بن يحي بن محمد بن عميرة، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس. مدريد: مطبعة روخس المسيحية، 1881. ص304. ترجمة: 841.

11 - ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس، دار الكتاب المصري/ اللبناني، ط2، 1989، ص88. ابن حيان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس. تحقيق: محمود علي مكي. بيروت: دار الكتاب العربي، 1393ه/1973م. القطعة 02، ص30.

12 - ابن القوطية، المصدر السابق، ص115؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص227.

13 - البيان المغرب في أخبار المغرب. بيروت: مكتبة صادر، د.ت. ج02، ص227. المقتبس في تأريخ رجال الأندلس. تحقيق: الأب ملوشور أنطونية. باريس: بولس كتنر الكتبي. 1937. القطعة 03، ص53.

14 - هو الوزير أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد الأشجعي، ولد سنة (382ه/992م). وتوفي (426ه/1035م) بقرطبة له شعر جيد يهزل فيه ويجد، حتى قورن بالجاحظ في أدبه. ابن خاقان أبو النصر الفتح، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس. تحقيق: مديحة الشرقاوي. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية. 1422ه/2001م. ص81؛ الحميدي، أبو محمد بن أبي النصر فتوح بن عبد الله ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس. بيروت: دار الكتب العالمية.1417ه/ 1997م، ص116. المقري، أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر، (1408ه/1988م). ج1. ص237.

15 - المقتبس. تحقيق: بيدرو شلميتا وآخرون. مدريد: المعهد الإسباني العربي للثقافة وكلية الآداب بالرباط. 1979. القطعة 04. ص448.

16 - المقري، المصدر السابق، ج1. ص380.

17 - ابن الابار القضاعي، الحلة السيراء. تحقيق: حسين مؤنس. القاهرة: دار المعارف. ط2، 1985. ، ج1، ص238.

18 - المقري، المصدر السابق ، ج1. ص216.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

19 - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص227؛ ابن حيان، المقتبس. ق03. ص05. سحر السيد عبد العزيز سالم، بنو أبي عبدة: الأصول الأسرية الأولى لبني جهور أصحاب قرطبة في عصر دويلات الطوائف. مدريد: مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية. سنة1997. مج 29، ص300.

20 - الحكم بن هشام الملقب بالربضي نسبة إلى حادثة الربض، كنيته أبو العاص، بويع في صفر سنة(180هـ/796م)، ودامت دولته ستًّا وعشرين سنة ؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص102، ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1. ص43.

21 - ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص30.

22 - سحر عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص301.

23 - المقري، المصدر السابق.ج3. ص12. محمود شيت خطاب، قادة فتح الأندلس، مؤسسة علوم القرآن - منار للنشر والتوزيع ط1، بيروت، 2003 م، ج 1، ص 434.

24 - "هشام بن عبد الرحمن"، بويع في جمادى الأولى(171هـ/787م)، يلقب بالرضا، ويكنى بأبي الوليد، كانت مدة دولته سبع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام، توفي سنة (180هـ/796م). ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1. ص42. ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص91.

25 - المصدر نفسه، ص96.

26 - عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس. العصر الأول، القسم الأول. القاهرة: مكتبة الخانجي. ط04، 1417هـ/ 1997م، ص226.

27 - ابن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط 1، بيروت :دار الكتب العلمية، 1413هـ/ 1992م، مج 4، ص150.

28 - ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1. ص 135.

29 - عثمان بن عبد العزيز صالح المحمدي، محمد رشيد أحمد العبيدي، أسرة بني حدير ودورها السياسي والإداري والفكري، في الاندلس، مجلة جامعة الانبار للعلوم، العدد 3، أيلول سبتمبر 2018. ص 2.

30 - كان زرياب مقربا من الخليفة العباسي الأمين، فلما قتل، وتولى الخلافة المأمون، فرَّ إلى الأندلس وقدم على الأمير "عبد الرحمن بن الحكم"، فقربه منه. ا بن القوطية، المصدر السابق، ص84، 81. أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي. بيروت: دار النهضة العربية. دت. ص341.

31 - ابن حيان، المقتبس. ق04، ص173.

32 - ابن حيان المقتبس. ق02. ص144.

33 - نفس المصدر، نفس الصفحة.

34 - ابن الأبار، الحلة السيراء. ص120.

35 - ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص120.

36 - المصدر نفسه، ج2، ص237.

37 - نفسه. ج2، ص240، 246، 259.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X
DM

38 - استشار سليمان بن عبد الملك "مغيث" في تولية "طارق بن زياد"على الأندلس، فسأله: "كيف أمره في الأندلس؟"فرد: "لو أمر أهلها بالصلاة إلى أي قبلة شاء لتبعوه ولم يروا أنهم كفروا"، فلما لقي طارق مغيث أخبره عما قاله لسليمان فقال طارق: "ليتك وصفت أهل الأندلس بعصياني، ولم تضمر في الطاعة ما أضمرت". المقري، المصدر السابق، ج3. ص13.

39 - المصدر نفسه، ج3. ص13.

40 - ابن خلدون، العبر. ج4. ص150.

41 - ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص135 .

- سرقسطةZaragoza تتصل أعمالها بأعمال تطيلية، ذات فواكه عذبة، وهي مبنية على نهر كبير، وقد انفلادت بصناعة السِّمّور؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، م. بيروت: دار الفكر، مج3. ص212،213.

42 - ابن حيان، المقتبس. ق02، ص31؛ ابن الأبار، الحلة السيراء. ج2، ص135، 136.

43 - قلمرية COIMBRA مدينة تقع على مصب نهر منديق في المحيط الأطلسي على الساحل الغربي للأندلس (بلاد البرتغال حالياً) على بعد نحو مائة كيلو متر إلى شمال غرب غرناطة، وشمال شرق الأشبونة. ابن حيان، المقتبس. ق02. ص526. ترجمة: 320. الإدريسي، نزهة المشتاق. ج2، ص726.

44 - ابن حيان، المقتبس. ق02. ص154.

45 - معركة حاسمة وقعت بين مروان بن الحكم والضحاك بن قيس الفهري، وكان ذلك يوم جمعة 10 من ذي الحجة (عيد الأضحى) سنة 64هـ، فدارت الدائرة لمروان على الفهري وقتل معه سبعون ألفاً، من قيس وقبائلهم. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس. ص49.

46 - ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص246.

47 - المقري، المصدر السابق.ج3، ص45.

48 - ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص246.

49 - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص91.

50 - ابن الأبار، الحلة السيراء، ، ج2، ص30.

51 - نفس المصدر ونفس الصفحة.

52 - نفسه، ج1، ص247.

53 - ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص141.

54 - نفسه. ج2، ص227. ابن حيان، المقتبس. ق03. ص5.

55 - ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1. ص245.

56- هو عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر، كنيته أبو المطرف، أمه اسمها"غاية" لقب بالمستظهر بويع في رمضان(414هـ/1023م)، وقُتل في ذي القعدة من نفس السنة. اشتهر بالذكاء والفطنة والأدب والورع. ابن عذاري، المصدر السابق. ج3، ص135؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص12؛ الحميري، المصدر السابق، ص27.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

57 - عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب. تحقيق: الأستاذ محمد سعيد العريان. القاهرة: مطابع شركة الإعلانات الشرقية(لجنة إحياء التراث)، 1383ه/1963م. ص93؛ دوزي، المسلمون في الأندلس (اسبانيا الإسلامية). ترجمة وتعليق: د.حسن حبشي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ج2، ص213.

58 - يميل فريق من المؤرخين المُحدثين إلى التمييز بين "بني جهور" أصحاب قرطبة وهم الذي ينتمي نسبهم إلى "أبي عبدة حسان بن مالك" وبين أسرة أخرى تسمى كذلك بـ"الجهاورة البختيين" نسبة إلى "جهور بن يوسف بن بخت" حاجب عبد الرحمن الداخل، في حين أن بعض المصادر العربية قد خلطت بين البيتين، فـ"ابن عذاري" يذكر في معرض حديثه عن دولة "بني جهور" في قرطبة أن مؤسسها هو "جهور بن محمد بن جهور بن عبد الملك بن جهور بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الغمر بن يحي بن عبد غافر بن يوسف بن بخت بن أبي عبدة"، وذكر أن الجد الأول لهذه الأسرة كان فارسي الأصل وأنه كان مولى لعبد الملك بن مروان وأن ابنه "يوسف بن بخت" دخل الأندلس قبل دخول عبد الرحمن بن معاوية بعدة سنين، وكان أحد كبار الموالي بقرطبة؛ وقد سار "ابن الخطيب" في نفس طريق "ابن عذاري" في نسبة أبي حزم جهور بن محمد بن جهور إلى عبد غافر بن يوسف بن بخت بن أبي عبدة" الذي كان لدخوله على حد وصفه أثر كبير في جمع كلمة الأموية.

59 - ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص238.

60 - المقري، المصدر السابق.ج3، ص45.

61 - ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1. ص ص236-237.

62 - ابن خلدون، العبر، ج4، ص149.

63 - مؤلف مجهول، أخبار مجموعة. ص101 .

64 - تدمير Todmir كورة بالأندلس تتصل بأحواز كورة جيان، وهي شرقي قرطبة، ولها معادن كثيرة ومعاقل ومدن وبساتين. ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج2، ص19.

65 - ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1. ص ص236-237.

66 - ابن حيان، المقتبس. ق02. ص26.

67 - ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس.ص89.

68 - ابن حيان، المقتبس. ق02. ص27.

69 - ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1.ص238.

70 - ابن خلدون، العبر، مج4. ص165.

71 - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص227.

72 - شذونة Sidonia بفتح أوله وبعد الواو الساكنة نون مدينة بالأندلس تتصل نواحيها بنواحي مورور من أعمال الأندلس وهي منحرفة عن مورور إلى الغرب مائلة إلى القبلة. ياقوت الحموي، المصدر السابق. مج3، ص329.

73 - ابن حيان، المقتبس. ق03. ص05 ؛ ابن القوطية، المصدر السابق. ص115.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

74 - سالم عبد الله خلف، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية. 1424هـ/ 2003م. ج1، ص427.

75 - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص405.

76 - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص405.

77 - المصدر نفسه، ص406.

78 - نفس المصدر والصفحة.

79 - محمد بركات البيلي، دراسات في نظم الحكم في الدولة الإسلامية. القاهرة: دار النهضة العربية. 1408هـ/1988م.. ص130

80 - ابن حيان، المقتبس . ق04. ص103، 173.

81 - ابن حيان، المقتبس. ق04. ص 22. ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص379.

82 - ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق:د. شوقي ضيف. ط02، القاهرة: دار المعارف، 1963. ج1، ص46.

83 - نفس المصدر. نفس الصفحة. ابن حيان، المقتبس، ق02. ص81.

84 - ابن حيان، المقتبس، ق2. ص31.

85 - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2. ص 438.

86 - ابن القوطية، المصدر السابق. ص78.

87 - ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص500.

88 - ابن حيان، المقتبس، ق2. ص67.

89 - ليفي بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (811م-1031م)، ترجمة: علي عبد الرؤوف البمبي وآخرون. مدريد:Espasa Calpe.S.A. ط3، 1967. ص207.